عطاء بن رباح

أعـلام التابعيـن

عطاء بن رباح

هو أهم تلاميذ ابن عباس - رضي الله عنهما - ومدرسة مكة.

قال ابن القيم: أهل مكة علمهم عن أصحاب عبد الله بن عباس.

أنه من أقرب تلاميذ ابن عباس - رضي الله عنهما - إليه، وقد كان خليفته في الإفتاء في مناسك الحج.

أنه المفتي الرسمي للدولة الأموية في موسم الحج.

أنه من يتميز بالتقوى، وحسن العلاقة مع الله تعالى.

أنه من كان شديد الاتباع للسنة، والسلف الصالح في أقواله وأفعاله.

هو عطاء بن أبي رباح - واسم أبي رباح: أسلم - القرشي مولاهم الفهري، أبو محمد، من مولدي منطقة الجند باليمن.

ولد في أواخر خلافة عثمان - رضي الله عنه.

تلقى العلم عن جماعة من الصحابة منهم: أبو هريرة، وابن عباس، وابن عمر، وأبو سعيد الخدري، وأسامة بن زيد، وابن الزبير، ومعاوية، وجابر، وأبو الدرداء، وأم سلمة، وعائشة، وأم هانئ وغيرهم - رضي الله عنهم -. وورد عنه قوله: أدركت مائتين من الصحابة. ولكن أكثر فتواه عن شيخه ابن عباس - رضي الله عنهما -.

وقد وافقه في أغلب الفتاوى، فكان أحيانا يقول: لم أسمع من ابن عباس في هذه المسألة شيئا.

روى عن عطاء أمم كثير، ولكن من روى عنه في باب المناسك هم:

إبراهيم بن ميمون الصائغ، وإبراهيم بن المهاجر البجلي، وإبراهيم بن يزيد الخوزي الأموي، وإبراهيم بن نافع المخزومي، وأشعث

والأجلح بن عبد الله الكندي، وأسلم المنقري، وإسماعيل بن مسلم المكي،

والأوزاعي عبد الرحمن بن يحمد، وبرد بن سنان، وجابر بن يزيد الجعفي، وجبيب المعلم، وحميد الأعرج، وحنظلة بن أبي سفيان الجمحي، وحفص بن غياث التخعي، وحبيب بن الزبير الهلالي، وحبيب بن أبي مرزوق الرقي، وحجاج بن فرافضة، وخصيف الجزري، وخالد بن دينار، وداود بن شابور المكي، والربيع بن صبيح السعدي، وسعيد بن عبد العزيز التنوخي، وسفيان الثوري، وطلحة بن عمر الحضرمي، وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، وعبد الملك بن أبي سليمان العرزمي، وعبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب أحد الفقهاء السبعة، وعبيد الله بن أبي زياد القداح، وعثمان بن الأسود المكي، وعبد الكريم بن مالك الجزري، وعبد الله بن محرر الجزري، وعثمان بن عطاء الخراساني، وعكرمة بن عمار العجلي، وعمر بن ذر الهمداني، وعمرو بن أبي سفيان الجمحي، والعلاء بن المسيب، وعمر بن قيس المكي، وعمرو بن قتادة اليمامي، وقتادة بن دعامة السدوسي، وكثير بن شنظير، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، ومنصور بن المعتمر، وموسى بن عقبة الأسدي، ومبارك بن حسان السلمي، ومثنى بن الصباح اليماني، ومالك بن دينار، ومطر الوراق، ومغيرة بن زياد، ومحمد بن شريك، ومسعر بن كدام العامري، والنهاس بن قهم القيسي، ومعمر بن قيس السلمي، وقيس بن سعد المكي، وليث بن أبي سليم، وهشام بن عروة، والهذيل بن بلال الفزاري، وهشام بن الغاز الجرشي، وهشام بن حسان الأزدي، وهمام بن يحيى العوذي، وواقد، ويحيى بن سعيد الأموي، ويوسف بن ماهك، ويزيد مولى عطاء، ويعقوب بن عطاء بن أبي رباح، ويونس بن مسمار الخزاز، وعبد الله بن أبي نجيح الثقفي، وعبد العزيز بن أبي رواد المكي، وأبو إسحاق السبيعي، وأبو بشر جعفر بن إياس اليشكري.

والمكثرون منهم: ابن جريج وهو حامل علمه وملازمه، وليث، وحجاج، وابن أبي نجيح.

وكان عطاء أسود، أعور، أفطس، أشل، أعرج، ثم عمي آخر عمره، وقطعت يده في القتال مع عبد الله بن الزبير - رضي الله عنه -.

ثناء العلماء عليه :

اتفق العلماء على الثناء على الإمام عطاء - رحمه الله -، ومن ذلك: قول أبو حنيفة: ما رأيت رجلا أفضل من عطاء.

قال ابن جريج: أقام أربعين سنة في المسجد الحرام، يصلي بالليل ويطوف.

وقال أيضا: لزمته ثماني عشرة سنة، وكان بعدما كبر وضعف يقوم إلى الصلاة، فيقرأ مائتي آية من البقرة، وهو قائم لا يزول منه شيء ولا يتحرك.

وقال أيضا: كان المسجد فراشه عشرين سنة، وكان من أحسن الناس صلاة.

وقال أبو معاوية المغربي: رأيت عطاء بن أبي رباح بين عينيه أثر السجود.

وقال عبد الرزاق الصنعاني: خذ أهل مكة الصلاة من عطاء، ثم ابن جريج بعده.

وما رأيت أحدا أحسن صلاة من ابن جريج كان يصلي كأنه أسطوانة.

وفي شأن إخلاصه، ونيته لله: قال سلمة بن كهيل: ما رأيت أحدا يريد بهذا العلم وجه الله غير هؤلاء الثلاثة: عطاء، وطاوس، ومجاهد.

وفي بره بوالديه: كان يطعم عن أبويه صدقة الفطر وهما ميتان حتى مات.

اتباعه السنة:

يحرص الإمام عطاء - رحمه الله - على اتباع السنة في علمه وعمله؛ ولذا كان يثق عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - في فتاواه، ويطمئن إليها لعلمه بحرص عطاء على اتباع السنة، ومن ذلك: أنه كان لا يرفع حديثا إلى رسول الله - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم - حتى يتوثق من رفعه، فقد صحح بأن الأثر الوارد بأن " الحاج يستقبل العمل بعد الحج " إنما هو موقوف على عمر وأبي ذر - رضي الله عنهما -، وليس حديثا مرفوعا بهذا اللفظ.

وإن كان معناه واردا في أحاديث صحيحة بأن الحاج يغفر له ذنبه كله.

ومن ذلك: أنه كان غالبا لا يفتي إلا وله إمام في فتواه، فقد سئل عن مسائل كثيرة، فتورع أن يفتي فيها؛ لأنه لم يسمع أحدا من الصحابة أفتى بها، أو أنه لم يبلغه فيها شيء. وربما أفتى بعد أن يبين أن هذا رأيه ولم يتبع فيه أحدا.

فقد سئل عن قتل اليربوع في الإحرام.

وسئل عن الضربة تذهب بالصوت ما ديته، وسئل عن الحاجب يقطع ما ديته.

وسئل عن القنوت في المكتوبة، وسئل عن الحائض يصيبها زوجها ما كفارته.

وسئل عن الدعاء على الصفا والمروة.

وسئل عن الثيب تستكره نفسها، فأجاب في ذلك بأنه لم يسمع فيها شيئا.

كما سئل عن الفأرة تقع في الودك غير الجامد، وسئل عن التهليل والتحميد بين تكبيرات صلاة العيد، وسئل عن الاستنان (السواك).

يوم الفطر، وسئل عن الحلف بالعتاقة، وسئل عن ذهاب السمع ما ديته، فأجاب فيها بأنه لم يبلغه في ذلك شيء.

ومن ذلك: أنه إذا بلغه الخلاف عن الصحابة في أمر تورع أن يفتي فيه، كما سئل عن تغطية رأس المحرم الميت، فقال: الأمر فيه خلاف.

ومن ذلك: نهيه عن وسائل الشرك، والبدع، كما أفتى بأنه لا يجوز الطواف حول مقام إبراهيم، ولا التمسح به، ولا تقبيله. وأن تراب الحرم لا يخرج منه إلى الحل؛ قطعا لمادة الشرك.

علمه:

أثنى على علم عطاء الصحابة قبل التابعين؛ فقال عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما -: يا أهل مكة، تجتمعون إلي وعندكم عطاء؟.

وروي نحوه عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما -.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: كان فقيه أهل مكة عطاء ابن أبي رباح بعد العبادلة الأربعة.

وقال إسماعيل بن أبي أمية: إذا تكلم يخيل إلينا أنه يؤيد.

وقال محمد بن سعد: قال بعض أهل العلم: انتهت فتوى أهل مكة إليه، وإلى مجاهد، وأكثر ذلك إلى عطاء.

وقال ربيعة: فاق عطاء أهل مكة في الفتوى.

عطاء وعلم المناسك:

كان الإمام عطاء - رحمه الله - مقدما في علم المناسك؛ كما قال أبو جعفر الباقر: ما بقي على ظهر الأرض أحد أعلم بمناسك الحج من عطاء.

وقال قتادة: كان عطاء من أعلم الناس بالمناسك.

وقال ابن أبي ليلى: كان عالما بالحج.

وقال أبو حازم: ما أدركت أحدا أعلم بالحج من عطاء.

وكان ابن عمر - رضي الله عنهما - وهو أحد الصحابة الأجلاء

المشهورين باتباع السنن، والمشهورين أيضا بعلم المناسك.

يحيل عليه في مسائل الحج.

وكان أئمة التابعين كمجاهد وسعيد بن جبير يحرصان على معرفة رأيه في مسائل الحج.

وكان بنو أمية يأمرون ألا يفتي أحد غير عطاء في موسم الحج.

وكان يجلس إليه سليمان بن عبد الملك وابناه يسألون عن مناسك الحج.

فانظر إلى ذلك العهد الأموي الزاخر بالعلماء المجتهدين، والأئمة المتبوعين، كيف اطمأنوا إلى فتاوى الإمام عطاء - رحمه الله - فكان فتاواه هي المعمول بها عن رضى جميع علماء عصره الكبار، بأمر خليفة المسلمين حتى كأنهم أجمعوا على صحتها، وقوة دليلها.

قال الأوزاعي: مات يوم مات وهو أرضى، أهل الأرض عند الناس. ومات سنة خمس عشرة ومئة، وقيل: سنة أربع عشرة، وله ثمان وثمانون سنة.

من كلام عطاء بن رباح :

كذبتُ بما قلتُ لك:

عن زيد بن أبي أنيسة عن عطاء بن أبي رباح أنه سئل عن التوبة من الفرية، قال: تمشي إلى صاحبك فتقول: كذبتُ بما قلتُ لك وظلمتُ وأسأتُ فإن

أخذتَ فبحقك وإن شئتَ عفوتَ.

أكل الحجارة خير من علاج جهنم:

قال جعفر بن ناجية: سألت عطاء بن أبي رباح عن أشياء من معاشنا بأصبهان، فجعل يقول: مكروه؛ فقلت: يا أبا محمد كيف السبيل إلى ذاك؟ فقال: أكل الحجارة خير من علاج جهنم.

يا رب أي عبادك أخشى لك؟:

عن عثمان بن الأسود عن عطاء قال: قال موسى: يا رب أي عبادك أحكم؟ قال: الذي يحكم للناس كما يحكم لنفسه؛ قال: يا رب أي عبادك أغنى؟ قال: أرضاهم بما قسمت له؛ قال: يا رب أي عبادك أخشى لك؟ قال: أعلمهم بي.

فبما تستكثر من حجج الله علينا وعليك؟ :

عن عطاء قال: كان فتى يختلف إلى أم المؤمنين عائشة فيسألها وتحدثه فجاءها ذات يوم يسألها فقالت: يا بني هل عملت بعدما سمعت مني؟ فقال: لا والله يا أمَّه، فقالت: يا بني فبما تستكثر من حجج الله علينا وعليك.

قال عطاء: إنما القرآن عِبر، إنما القرآن عِبر.

إذا كان خمس كان خمس:

قال عطاء: إذا كان خمس كان خمس: إذا أكل الربا كان الخسف والزلزلة، وإذا جار الحكام قحط المطر، وإذا ظهر الزنا كثر الموت، وإذا منعت الزكاة هلكت الماشية، وإذا تعدى على أهل الذمة كانت الدولة.

قال عطاء: جاءني طاووس فقال لي: يا عطاء إياك أن ترفعَ حوائجَك إلى من أغلقَ دونَك بابَه وجعلَ دونك حجاباً؛ وعليك بطلبِ حوائجِك إلى من بابُه مفتوحٌ لك إلى يومِ القيامة، طلبَ منكَ أن تدعوه ووعدك الإجابة.

اللهم ارحم في الدُّنيا غُرْبتي:

الأصمعي قال: كان عَطاءُ ابن أبي رَباح يقول في دُعائه: اللهم ارحم في الدُّنيا غُرْبتي، وعند الموت صَرْعتي، وفي القُبور وحْدَتي، ومَقامي غداً بين يديك.

ما هذه الأخلاق؟ وما هذه الطبائع؟:

قال معاذ بن سعد الأعور: كنتُ جالساً عند عطاء بن أبي رباح فحدث رجل بحديث، فعرض رجل من القوم في حديثه، فغضب وقال: ما هذه الأخلاق؟ وما هذه الطبائع؟ إني لأسمع الحديث من الرجلِ وأنا أعلمُ به فأُريه أنه لا أُحسِنُ منه شيئاً.

مواقف من حياة عطاء بن رباح:

قد خبث زمان يزار فيه مثلي:

كان رضي الله عنه إذا حدثه أحد بحديث وهو يعلمه يصغي إليه كأنه ما سمعه قط لئلا يخجل الرجل.

وكان يقرأ في قيامه في صلاة الليل المائتي آية أو أكثر وكان إذا استأذن عليه أحد لا يفتح له، حتى يقول له: بأي نية جئت إلي فإذا قال لزيارتك يقول ما مثلي من يزار ثم يقول: قد خبث زمان يزار فيه مثلي.

وكان يقول: من جلس مجلس ذكر كفر الله تعالى عنه بذلك المجلس عشرة مجالس من مجالس الباطل، وكان رضي الله عنه مولى لأبي ميسرة الفهري، نشأ بمكة.

ولو كان يخص بالعلم أحداً لكان أهل النسب أولى:

وكان أحمد بن حنبل رضي الله عنه يقول: خزائن العلم لا يقسمها الله تعالى إلا لمن أحب ولو كان يخص بالعلم أحداً لكان أهل النسب أولى، وكان عطاء عبداً حبشياً، وكان يزيد بن أبي حبيب نوبياً، وكان الحسن البصري مولى، وكان ابن سيرين رضي الله عنه مولى للأنصار.

تعلموا العلم فإني لا أنسى ذلنا بين يدي هذا العبد الأسود:

كان عطاء يعلم الأكابر العلم وجاءه سليمان بن عبد الملك فجلس بين يديه فعلمه مناسك الحج، ثم التفت إلى أولاده وقال: تعلموا العلم فإني لا أنسى ذلنا بين يدي هذا العبد الأسود. وحج عطاء رضي الله عنه سبعين حجة، وعاش مائة سنة. وتوفي بمكة سنة خمس عشرة ومائة رضي الله تعالى عنه.

امسكوا واحفظوا عني خمسا:

قال جريج: رأيت عطاء يطوف بالبيت فقال لقائده: امسكوا واحفظوا عني خمسا: القدر خيره وشره حلوه ومره من الله تعالى ليس للعبد فيه مشيئة ولا تفويض، وأهل قبلتنا مؤمنون حرام دماؤهم وأموالهم إلا بحقها، وقتال الفئة الباغية بالأيدي والنعال لا بالسلاح، والشهادة على الخوارج بالضلالة.

عن عطاء في قوله تعالى: {ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ} [النور: ٣٧] قال: لا يلهيهم بيع ولا شراء عن مواضع حقوق الله التي فرضها الله تعالى عليهم أن يؤدوها في أوقاتها.

عن عبد الملك بن جريج عن عطاء بن أبي رباح أن يعلى بن أمية كانت له صحبة فكان يقعد في المسجد الساعة فينوى بها الاعتكاف.

أما تقرؤن القرآن؟!:

عن عطاء بن أبي رباح قال ما قال عبد قط يا رب يا رب يا رب ثلاث مرات إلا نظر الله اليه قال فذكرت ذلك للحسن فقال: أما تقرؤن القرآن: {ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئې ئى ئى ئى ی ی ی ی ٱ ٻ ٻ} [آل عمران: ١٩٣ - ١٩٥].

عن عطاء قال: النظر إلى العابد عبادة.

فما هذا الهدى الذي زادهم الله؟!:

قال معقل بن عبيد الله الجزري قلت لعطاء بن أبي رباح: إن ههنا قوما يزعمون أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص فقال: {ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې} [محمد: ١٧]، فما هذا الهدى الذي زادهم الله؟ فقلت: ويزعمون أن الصلاة والزكاة ليستا من دين الله؟ فقال وتلا: {ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ} [البينة: ٥].

عرفت فالزم:

قال سعيد بن سلام البصري سمعت أبا حنيفة يقول: لقيت عطاء بمكة فسألته عن شيء فقال: من أين أنت؟ قلت: من أهل الكوفة. قال: أنت من أهل القرية

الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا؟ قلت: نعم. قال: فمن أي الأصناف أنت؟ قلت: ممن لا يسب السلف، ويؤمن بالقدر، ولا يكفر أحدا بذنب. فقال لي عطاء: عرفت فالزم.

أما يستحي أحدكم لو نشرت عليه صحيفته؟!:

قال أحمد بن بديل: سمعت أبا عبيد يقول: دخلنا على محمد بن سوقة قال ألا أحدثكم بحديث لعله ينفعكم فإنه نفعني؟ قال لنا عطاء بن أبي رباح: يا بن أخي، إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام، وكانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله تعالى أن يقرأ أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر، أو تنطق في حاجتك في معيشتك التي لا بد لك منها أتنكرون إن عليكم لحافظين كراما كاتبين عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد، أما يستحي أحدكم لو نشرت عليه صحيفته التي أملاها صدر نهاره أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه.

لا أسألكم عليه أجراً:

قال عثمان بن عطاء الخراساني: انطلقت مع أبي وهو يريد هشام بن عبد الملك، فلما قربنا إذا شيخ أسود على حمار، عليه قميص دريس وجبة دنسة وقلنسوة لاطية دنسة، وركاباه من خشب، فضحكت، وقلت لأبي: من هذا الأعرابي؟ قال: اسكت! هذا سيّد فقهاء أهل الحجاز، هذا عطاء بن أبي رباح.

فلما قربت نزل أبي عن بغلته، ونزل هو عن حماره، فاعتنقا وتساءلا، ثم ركبا فانطلقا إلى باب هشام. فلما رجع أبي قلت: حدثني ما كان منكما. قال: لما قيل لهشام: عطاء بن أبي رباح أذن له، وما دخلت إلا بسببه. فلما رآه هشام قال: مرحباً مرحباً: هاهنا، هاهنا، فرفعه حتى مسّت ركبته ركبته، وعنده أشراف الناس يتحدثون فسكتوا. فقال هشام: ما حاجتك يا أبا محمد؟ قال: يا أمير المؤمنين، أهل الحرمين أهل الله، وجيران رسول الله صلى الله عليه وسلم تقسم فيهم أعطياتهم وأرزاقهم؛ قال: نعم، يا غلام اكتب لأهل المدينة وأهل مكة بعطاءين وأرزاقهم

لسنة. ثم قال: هل من حاجة غيرها يا أبا محمد؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، أهل الحجاز وأهل نجد أصل العرب وقادة الإسلام ترد فيهم فضول صدقاتهم. قال: نعم، اكتب يا غلام بأن ترد فيهم صدقاتهم. هل من حاجة غيرها يا أبا محمد؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. أهل الثغور يرمون من وراء بيضتكم، ويقاتلون عدوّكم قد أجريتم لهم أرزاقاً تدرّها عليهم، فإنهم إن يهلكوا غزيتم، قال: نعم، اكتب بحمل أرزاقهم إليهم يا غلام. هل من حاجة غيرها يا أبا محمد؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، أهل ذمتكم لا تجبى صغارهم ولا تتعتع كبارهم، ولا يكلفون ما لا يطيقون، فإن ما تجبونه معونة لكم على عدوكم. قال: نعم، اكتب يا غلام بأن لا يحملوا ما لا يطيقون. هل من حاجة غيرها يا أبا محمد؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، اتق الله في نفسك، فإنك وحدك، وتموت وحدك، وتحشر وحدك، وتحاسب وحدك، لا والله ما معك ممن ترى أحد.

قال: وأكبّ هشام، وقام عطاء. فلما كنا عند الباب إذا رجل قد تبعه بكيس ما أدري ما فيه أدراهم أم دنانير! وقال: إن أمير المؤمنين أمر لك بهذا، قال: لا أسألكم عليه أجراً، إن أجري إلا عند ربّ العالمين. ثم خرج عطاء، ولا والله ما شرب عندهم حسوة من ماء فما فوقه.

جاء سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين إلى عطاء هو وابناه، فجلسوا إليه وهو يصلي، فلما صلى انفتل إليهم، فما زالوا يسألونه عن مناسك الحج وقد حول قفاه إليهم، ثم قال سليمان لابنيه: قوما؛ فقاما، فقال: يا بني لا تنيا في طلب العلم فإني لا أنسى ذلنا بين يدي هذا العبد الأسود.

ما لي إلى مخلوق حاجة:

قال الأصمعي: دخل عطاء بن أبي رباح على عبد الملك، وهو جالس على السرير، وحوله الأشراف، وذلك بمكة في وقت حجه في خلافته، فلما بصر به عبد الملك، قام إليه فسلم عليه، وأجلسه معه على السرير، وقعد بين يديه، وقال: يا أبا محمد: حاجتك؟ قال: يا أمير المؤمنين! اتق الله في حرم الله، وحرم رسوله، فتعاهده بالعمارة، واتق الله في أولاد المهاجرين والأنصار، فإنك بهم جلست هذا

المجلس، واتق الله في أهل الثغور، فإنهم حصن المسلمين، وتفقد أمور المسلمين، فإنك وحدك المسئول عنهم، واتق الله فيمن على بابك، فلا تغفل عنهم، ولا تغلق دونهم بابك، فقال له: أفعل، ثم نهض وقام، فقبض عليه عبد الملك وقال: يا أبا محمد! إنما سألتنا حوائج غيرك، وقد قضيناها، فما حاجتك؟ قال: ما لي إلى مخلوق حاجة، ثم خرج، فقال عبد الملك: هذا وأبيك الشرف، هذا وأبيك السؤدد.

* * *